



من أكابر رجالدات حمص و أعيانها و وجهائها و ذواتها و له أياد بيضاء كثيرة على أهل حمص و قراها، و قد قال عنه محمد علي باشا في كتابه "الرحلة الشامية" صفحة 130: (و أنا أعرف أن سعادة عبد الحميد باشا الدرربي قد اشترى من جميه هؤلاء الناس (أهل حمص) أضدتهم و ملك نفوسهم بما يسديه إليهم من معروضه و ماله، فهو في تلك المدينة بمثابة والد شفيق لكل الناس). عمل خلال حياته بالتجارة و شغل مناصب حكومية عدة منها منصب القائمقام و رئيس بلدية حمص عدة مرات و رئيس غرفة التجارة بحمص ثم بعد منحه لقب الباشوية من قبل السلطان عبد الحميد شغل أيضا منصب كناظرا للأمالك السلطانية.



مرسوم وسام التقدير العثماني لعبد الحميد باشا

ويتحدث عنه الباحث التاريخي "نعيم الزهراوي" في كتابه (الجذر المسكاني الحمصي) جزء (6) أنه: "بعد أن تلقى تعليمه على يد علماء "حمص" تسلّم عدة مناصب رفيعة في "حمص"، واستلم رئاسة غرفة التجارة. امتاز ببعد النظر ورجاحة الرأي، وكان له حظوة تامة لدى رجال الدولة العثمانية حاز على لقب الباشوية من الباب العالي العام 1901. وكان محط أنظار رجال الدولة وقد وجه أولاده إلى العلم فكان "محي الدين بك" عضو مجلس إدارة في "حمص" عام 1867، و"صبري بك" و"محمد نوري بك"، و"علاء الدين" الذي تلقى علومه في "حمص" وتابع تحصيله في المكتب الملكي في الأستانة، وبعد تخرجه عيّن قائم مقام في تركيا، ثم متصرفاً، ثم عاد إلى وطنه، وعمل مع الوطنيين على تأسيس الدولة السورية، واشترك في الوزارة التي شكلها "هاشم الأتاسي"، ثم أصبح رئيساً للوزراء في عهد الملك فيصل".

ويتحدث كتاب (يوميات مطران "حمص" للروم الأرثوذكس) للباحث "نهاد سمعان" عن "عبد الحميد الدرربي" أنه: «لعب دوراً هاماً في إدارة شؤون البلدة إذ انتخب عدة مرات لمجلس الإدارة، وترأس البلدية عدة مرات، بتعليماته تم إشادة الكثير من المشاريع العمرانية أهمها جامع "خالد بن الوليد" بشكله الحالي، حين أوفد "السيد" ذاييف خزام" إلى مصر لينقل تصاميم جامع "محمد علي باشا" في القلعة وقد تم تنفيذ ذلك بكل إتقان، وهو من الروعة بحيث يعتبر مفخرة لكل أبناء المدينة. وكان قد حصل خلاف بين القائم مقام ووجهاء المدينة في "حمص" نتيجة الأعمال التعسفية التي كان يقوم بها القائم مقام، فبادر "عبد الحميد الدرربي" (لم يكن باشا آنذاك) إلى تنظيم عريضة وقعتها الحمصيون من كل الطوائف والأديان، وعدد فيها الأعمال الجائرة التي ارتكبتها القائم مقام، وأخذها بيده إلى الأستانة في 15 آذار 1889، ولقد أسفرت هذه العريضة عن عزل القائم مقام "إحسان بك" ورحيله عن المدينة في (14 تموز) ليحل محله "محمود بك الشلبي" الحيفاوي الأصل، كقائم مقام جديد. وكان "عبد الحميد الدرربي" محبوباً من قبل أهالي "حمص" للكثير من مواقف الإنسانية النبيلة، ومن القصص الإنسانية التي تروى عنه كما ورد في كتاب (حوارات في عالم الغيب) للأستاذ "إدوار الحشوة" أنه: دخل مرة منزل "عبد الحميد الدرربي" فقراء من فلاحية قرية "الدوير" المتاخمة لمدينة "حمص" وقد كانوا مسيحيين، استنجدوا به وطلبوا مساعدته، وكانوا خائفون على حياتهم، فاستقبلهم وسمع قصتهم. حيث كانوا يعيشون ويعملون في قريتهم ذات الأرض الخصبة، والابتاج الوفير، هذه القرية أثارت الطمع لدى عائلة إقطاعية في المدينة، فاعتدت على أهلها وهجرتهم، تحت ستار من التعصب الأعمى، لإخفاء رغبتهم في الاستيلاء على أملاك الغير دون أدنى حق. فجاء "عبد الحميد الدرربي" برجل مسيحي حمصي هو المعماري "سليمان الحشوة"، كان مقرباً من "الدرربي"، وكان يعمل في حفر أساسات المرافق الشمالية لجامع "خالد بن الوليد"، وأعطاه "تنكة" وقال له: "تعال غداً إلى منزولي، وأعطني هذه التنكة أمام الناس وقل أنك وجدتتها أثناء الحفر وانصرف". وفعلاً قام "سليمان" بالواجب وأحضر التنكة أمام عليّة القوم، وسلمها لـ "عبد الحميد الدرربي"، فمسح عنها التراب، ثم أظهر الدهشة، ولم يبلغ الناس بفحواها. فدعا "الدرربي" فوراً كبار الإقطاعيين من العائلة الغاصبية، واختلأ بهم في الغرفة المجاورة، وأبلغهم بمحتوى ما كتب في التنكة، حيث فيها، أن عدة قرى من أخصب قراهم (أي الغاصبين) هي لوقف مسجد "خالد"، فرفضوا ذلك لملكيتهم لها منذ عقود، فقال "الدرربي" أن "ما وجد في أرض المسجد، لا أحد سيجادل بصحته، وعليهم تسليمها للوقف"، فطلبوا منه حلاً ليتجنّبوا ألسنة الناس، كون العدوان على الموقف بالدين من الكبائر. فأخبرهم بأن الحل جاهز: "تعود الدوير لأهلها.. تعود التنكة لأساساتها". فوافق الإقطاعيون على ذلك، وعاد أهل الدوير إلى قريتهم مكرمين، يدعون لـ "عبد الحميد الدرربي" بالخير وطول العمر.

المراجع:

كتاب الجذر المسكاني الحمصي لـ "نعيم الزهراوي" ج(6)

كتاب يوميات مطران "حمص" للروم الأرثوذكس للباحث "نهاد سمعان"

كتاب (حوارات في عالم الغيب) للأستاذ "إدوار الحشوة".